النّقوش الجنائزية المسيحية القديمة في الجزائر (نوميديا قديما)

Ancient Christian funerary inscriptions in Algeria (Ancient Numidia)

دة./ سعيدة أويحي– أستاذة محاضرة – أ–

قسم التاريخ/ جامعة الجزائر2– أبو القاسم سعد الله

saidaouyahia@gmail.com

الملخص:

تشهد المعالم التاريخية التي تزخر بها الجزائر على تنوع تراثها الحضاري الممتد منذ العصور الحجرية إلى يومنا هذا، حيث تمّ الكشف خلال الأبحاث الميدانية والدراسات الأثرية عن العديد من المواقع الأثرية، منها تلك المتعلقة بفترة المسيحية القديمة، كالهياكل الدينية والنقوش الجنائزية وشواهد القبور، التي مازالت شاهدة على تاريخ هذه المنطقة خلال فترة الاحتلال الروماني.

لقد حاول الباحثون الفرنسيون نفي وجود الهوية والأمة الجزائرية، واختزال التاريخ المسيحي القديم للجزائر، وذلك بتركيز جهودهم على إبراز دور بعض الشخصيات الدينية التي ساندت السلطة الرومانية آنذاك، واعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيين لهم، غير أنّ رفات الشهداء المسيحيين الذين احتضنتهم هذه الأرض، تُظهر مدى مقاومة السكان الأصليين لسياسة روما الاستعمارية، بل أصبح اعتناقهم للمسيحية وسيلة من وسائل المقاومة ضد الاحتلال الروماني، حتى بعد تبنيها كديانة رسمية في الإمبراطورية الرومانية، حيث حملت الشواهد الأثرية والنقوش الجنائزية التي ترجع إلى هذه الفترة، الأحكام القاسية الصادرة ضد المسيحيين، قبل وبعد تنصر السلطة الرومانية.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ نوميديا؛ النقوش الجنائزية؛ المسيحية؛ الشهداء.

Abstract:

Algeria's historic monuments attest to the diversity of its cultural heritage from the Stone Ages to the present day. During field research and archaeological studies, many archaeological sites were discovered, including those related to the ancient Christian period, such as religious structures, funerary inscriptions and tombstones, which still bear witness to the history of this region during the Roman occupation period.

The French researchers tried to negate the existence of the Algerian identity and nation and reduce the ancient Christian history of Algeria by focusing their efforts on highlighting the role of some religious figures, who supported the Romanian authority at the time, and considered themselves the true heirs to them. However, the remains of the Christian martyrs, who were cuddled by this land, show how resistant the indigenous people are to Rome's colonial policy, and even their conversion to Christihas become a means of resistance against Roman.

Keywords: Martyrs; funerary inscriptions; Numidia; Algeria.

مقدمة

عرفت الديانة المسيحية إقبالاً كبيرًا وسط سكّان شمال إفريقيا القديم، لما تحمله من مبادئ ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وتحمّسوا لها أكثر لكوْنها متوجّهة للنّاس جميعًا، بصرف النّظر عن الانتماء العرقي أو الاجتماعي، إذ تُعتبر المعالم الدينية المسيحية المنتشرة هنا وهناك، بمختلف أشكالها وأنواعها، من أكبر الدلائل على انتشارها في المنطقة خلال فترة الاحتلال الروماني.

وتزخر الجزائر (نوميديا قديما) برصيد كبير من النقوش الجنائزية المسيحية الشاهدة على اعتناق سكانها للمسيحية، والتي كانت وسيلة من وسائل المقاومة ضد الاحتلال الروماني. وسنحاول في هذا الموضوع تناول بعض الأسماء المذكورة في هذه النقوش وظروف استشهادهم.

1. ظهور طقس الشهداء

لقد استبشر سكّان شمال إفريقيا بالمسيحية خيرًا، كونها تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، في الوقت الذي كانت فيه السلطة الرومانية قائمة على التمييز والتفرقة بين الناس، وكثيرا ما كانت القوانين الرومانية الجائرة وراء جعل العديد من الناس عبيدا[1]، بل صارت العبودية أمرا مشروعا وُضعت قوانين لتنظيمها[2].

ورغم انتشار العبادات الشّرقية في الإمبراطورية الرومانية، إلاّ إنّ التّحدِّي الكبير بالنّسبة لها جاء من المسيحية الّتي لجأَ إليها السّاخطون والثّوار كونها ديانة المقاومين لسياستها الاستعمارية، لذا اتُّهمتِ أتباعها بالخيانة والتّخاذل وعدم الولاء لها، بل اعتُبرتهم طائفة خطيرة على سلامة السّلطة والمجتمع، لذا طالبتهم بإعلان خضوعهم لها، في صورة تقديم قرابين لتماثيل الإمبراطور في المعابد، ولمّا عارضُوا الامتثال للأوامر، تعرضوا للتنكيل والتّعذيب، وبدأت عملية اضطهاد المسيحيين منذ أواخر القرن الثاني الميلادي، وخلال الفترة الممتدة ما بين حكم الإمبراطورين ديسيوس ودقلديانوس، وذلك بإتباع سياسة عامّة عن طريق إصدار مراسيم إمبراطورية ضدهم[3].

وترجع أوّلى عمليات الاضطهاد الرّسمي ضدّ المسيحيين في شمال إفريقيا إلى عام 180م، حسب ما ورد في أعمال الشهداء "السكليتانيين" (Les Actes des martyrs Scillium) حيث أشارت إلى تنفيذ حكم الإعدام في حق اثني عشر مسيحي، من مدينة سكيلي (Scilli) الواقعة في مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بأمر من البروقنصل فيجيليوس ساتورينوس (Vigillius Saturninus) بتهمة رفض

1- تشارلز ورث، أ. ب.، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزى عبده جرجس ومراجعة محمد صقر خفاجة، طبعة الهيئة المصرية للكتاب ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 2003، ص212.

2- أحمد شفيق، الرق في الإسلام، ترجمة احمد زكي، دار طيبة للطباعة-الجيزة، 2010، الطبعة الأولى، ص23-27.

3- Mattei, P., Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009., pp. 145-1**53**.

الاعتراف بالآلهة الرومانية الرسمية وتقديم لها القرابين[1]. وصدر نفس الحكم في حقِّ مسيحيين آخرين في قرية مادور(Madaure) بنوميديا، حيث أوقفت السّلطات الرّومانية "نامفامو"(Namphamo)، و"سانام"(Sanam)، و"لوسيتاس"(Lucitas) بسبب رفضهم التّخلّي عن عقيدتهم[2]. واستمرت عمليات الاضطهاد في عهد البروقنصل جوليوس ترتلوس سكابولا(Scapula Julius Tertlus) (211-213م)[3]، بل امتدّت إلى مناطق أخرى في البروقنصلية ونوميديا، حيث استشهد "ميجين"(Miggin) و"سني"(Sinae)[4]، ومن المُحتمل القدّيسين "بوليوكتوس" (Polyeuctus) و "تيميوتوس"(Timiotheus) اللّذيْن يرجع إليهما الفضل في تنصير منطقة موريطانيا القيصرية، إذ كان يُحتفَل بذكرى استشهاد هذا الأخير بصلداي (بجاية)[5].

وبسبب تعنت المسيحيين اتجاه الديانة الرسمية، وشعور السّلطات الرومانية بالأخطار المحدقة بالإمبراطورية، غيّرت سياستها إزاءهم، وذلك بإتباع سياسة عامّة عن طريق سّن قوانين مسايرة لهذا التغيير، وبدأت سلسلة من عمليات الاضطهاد ضدَّ المسيحيين بأمر من الأباطرة أنفسهم عن طريق إصدار مراسيم إمبراطورية خلال فترة حكم ديسيوس و فاليريان و دقلديانوس ثمّ **جاليريوس**[6].

لقد أدت عمليات اضطهاد المسيحيين إلى نتائج غير متوقعة من طرف السلطة الرومانية، بل أسفرت عن تطوّراتٍ خطيرة في شمال إفريقيا، إذ حظي شهداء المسيحية بالتقديس والتبجيل، وظهر ما يُسمّى"طقس الشّهداء"، بل أصبحت النّصب التّذكارية الّتي شُيِّدَتْ على مقابرَهم يُحَجُّ إليها من كلّ مكان تيمُّنًا بِهم. كان للشجاعة الّتي أظهرها أولئك الشهداء تأثيرًا بليغًا في نفوس النّاس، فالتّرهيب الّذي مارسته السّلطات الحاكمة في حقِّهم لم يُكسر شوكة إخوانهم، بل جعلت منهم أبطالاً يُقْتَدَ بهم على مرّ السنين، حيث انتشرت أخبارهم، وذاع صيتهم في كلّ مكان، وأصبح يوم استشهادهم ذكرى يُحتفل بها في كل سنة، ممّا ساهم في ازدياد عدد المتنصرين[7].

وحسب"أخبار ماري"(Acta Mammarii) شملت عمليات الاضطهاد كل المناطق الإفريقية، وتبع ذلك سقوط المزيد من الضّحايا على أثر عمليات التحري التي كان يقوم بها جنود الرومان في كل مكان، حيث تمّ القبض على العديد من المسيحيين، ففي تيمقاد استشهد "لورانتيوس" (Laurentius)

1Dominique, A., histoire du christianisme en Afrique, les sept premiers siècles, Karthala Édition, 2000, p. 62.

2Monceaux, P., H.L.A.C., T. 2, Paris, 1901, pp .42-43.

3Mesnage, J.P., Evangélisation de l'Afrique, part que certaines familles Romano-africaines y ont prise, Adolphe Jourdan, Alger, 1914, Auguste Picard, Paris, 1914, p. 93.

4Monceaux, P., H.L.A.C., T. 1, Paris, 1901, p .45.

5Mesnage, J.P., op.cit, pp. 93-94.

6Mattei, P., op.cit, pp .145-153.

7- أويحي سعيدة، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الى بداية القرن الخامس الميلادي(180-411م) -قرطاج و نوميديا أنموذجا- أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله 2017/2016، ص. 146-147.

و"فوستينيانوس" (Faustinianus) "زيدينوس" (Ziddinus) و"كريسبينوس" (Crispinus) و"لوسيوس" (Leucius)، على الأرجح عام 259م[1]، وفي 26 جانفي من نفس السنة، تمّ إعدام "ثيوجين" (Théogène) أسقف مدينة هيبون. وأُعدم آخرون في سرتا و لومباز منهم، "ايميليان" (Emilien) و"اغابيوس" (Agapius) و"سكوندينوس" (Secundinus) و"ماريانوس" (Marianus) و"جاكوبوس" (Jacobus)[2] و"أنطونيانوس"(Antonianus) و" تيرتولا" (Tertulla) [3]. كما نُفذ حكم الإعدام في شاب يُدعى ماكسيمليانوس (Maximilianus) من مدينة تفست (Theveste) (تبسة)، بسبب رفضه الالتحاق بالجيش الرّوماني، حيث ظلَّ يُردِّد " لا يُمكن أن أخدم في الجندية، إنّني مسيحي"، حتّى ضاق به البروقنصل ذرعًا، فأمر بقطع رأسه[4].

لقد أشادت الكنيسة بالشاب ماكسيمليانوس (Maximilianus)، وجعلت منه قدّيسا تُرْوَى أخباره على المسيحيين[5]، ممّا جعل جنودًا آخرين يفرون من الخدمة العسكرية، إذ رفض الجندي تيباسيوس (Tipasius) من منطقة تيقاوا (Tigaua) بموريطانيا القيصرية، استلام منحة الإمبراطور (Donativum)[6]، والتطوع لخدمة الإمبراطورية من جديد، ذلك ما أثار غضب قائده، وأمر بإعدامه في 11 جانفي 298م[7].

وأمام تفاقُمِ مناهضة الجندية، وفرار الجنود من الخدمة العسكرية، اضطرّ الإمبراطور دقليديانوس إلى إصدار أربعة مراسيم متتابعة، ما بيْن سنتي303م و304م، سُجّلت خلالها أعنف وأكبر عمليات الاضطهاد، في تاريخ الإمبراطورية الرّومانية[8].

ويُعتبر المرسوم الذي أصدره الإمبراطور دقليديانوس عام304م الأخطر بالنّسبة للمسيحيين، ففي نوميديا كان الحاكم فلوروس(Florus) يُجبر المشتبهين منهم الدّخول إلى المعبد لتقديم القرابين، أو على الأقلّ، حرْق البخور أمام الآلهة، ممّا زاد من عناء المسيحيين وسقوط العديد منهم[9]، حيث نُفِّذ حكم الإعدام في الضابط فابيوس (Fabius) من شرشال، بسبب رفضه المشاركة في طقوس عبادة

1Monceaux, P., Timgad chrétien…, pp.6-7.
2Id., H.L.A.C., T.2, 26.
3Ballu, A., Les ruines de Timgad (Antique Thamugadi), Paris,Ernest Leroux, Éditeurs, 1897, p.32 .
4Bernet, A., Les chrétiens d'Afrique des origines à la conquête Arabe, Ed. De Paris, 2006, p.173.

5 شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر،المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، النشرة الخامسة، الدار التونسية للنشر 1985، ص 288.

6- هي مكافأة مالية تسلَّم في مناسبات محدّدة كعيد ميلاد الإمبراطور وأعياد أخرى، ترجع إلى عهد أغسطس واستمرّت حتّى عهد جوليان 578م. Le clant Jean, Dictionnaire de l'antiquité

7Slah Selmi, **"** Actes des martyrs africains **"** dans culte impérial et persécution romaine : Le cas d'Afrique, Synergie Tunisie, n°1, 2009, p.21**6**.

8- أويحي سعيدة، المرجع السابق، ص 178.

9Lepelley, F., Aspect de l'Afrique romaine et le christianisme Les cités la vie rurale, le christianisme, Edipuglia, Bari 2001, pp. 321-323.

الإمبراطور، خلال احتفال رّسمي سنة 304م، وتمَّ إعدام الشابة "كريسبينا" (Crispina) من مدينة تفست (Theveste)[1].

لقد ورد في سِجل يعود إلى فترة حكم البروقنصل أنولينوس أسماء بعض المسيحيين الذين سقطوا في نوميديا والبروقنصلية، ذُكر ضمنهم فليكس (Felix)، وماكسيما (Maxima)، ودوناتيلا (Donatilla)، وسكوندا (Secunda) من تبوربو مينوس (طبربة)، ونيفال (Nivale) وماترونا (Matrona) وسالفيوس (Salvius) من عين رقادة، وجوستوس (Justus) وديكوريو (Decurio) من سطيف. وفي قرية أبيثينا (Abithina) (هنشير السوار بتونس) وقعت مجزرة جماعية[2]، في الوقت الّذي خان فيه بعض الأساقفة والرّهبان عقيدتهم ورضخوا لمساومة السّلطة الحاكمة، وسلّموا لها الكتب المقدّسة، حيث لُقِّب هؤلاء بالمسَلمِّين (Traditores)، مِمّا خلق أزمةً كبيرةً في الكنيسة الإفريقية، أدّت إلى تشتيت صفوفها وانقسامها بعد توقُّف عمليات الاضطهاد في المنطقة[3].

إنّ سعي أباطرة الرّومان إلى القضاء على المسيحية في شمال إفريقيا لمْ يكنْ لسببٍ عقائدي فقط، وإنّما ناتج عن إدراك ووعي مطلق، لما يُمكن أن تُشكّله من خطر على تواجد السّلطة الرّومانية في المنطقة، فرغم كلّ المحاولات لِاسْتئصالها لم يستطعوا الحد من انتشارها، مما جعل خلفاء دقليديانوس يُغيِّرون سياستهم لاستدراك الوضع، حيث توقّفت عمليات الاضطهاد ضد المسيحيين في عهد الإمبراطور قسطنطين، وفُتحت صفحة جديدة في تاريخ العلاقة بين السّلطة والكنيسة، ونالت هذه الأخيرة وضعًا قانونيًا بموجب مرسوم ميلانو 313م.

وعلق يوسابيوس القيصري[4] على الانتصار الذي حققته المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين بقوله أن إرادة الله هي التي انتصرت في الأخير بقهره للأباطرة المعادين لدينه، حيث نال كل واحد منهم جزاءه.ويُمكن اعتبارالشهداء الذين ضحوا بأنفسهم، والدماء التي سالت من اجل الحفاظ على الديانة المسيحية، من العوامل الهامّة الّتي أدّت إلى هذا الانتصار، وهذا المراد من العبارة الشهيرة لترتليان[5] والتي جاء فيها" دماء المسيحيين هي بذورٌ لمسيحيين جدد".

1Selmi Slah, op.cit, p. 217.

2Le Blohec, Y., histoire de l'Afrique romaine 146 Avant J.-C. 439- après J.-C., éditions, A. et J. Picard, Paris, 2005, p.195.

3 أويحي سعيدة، المرجع السابق، ص. 181.

4Eusèbe de Césarée, Histoire ecclésiastique, textes grecs et traduction française par Emile Grapin, librairie Alphonse Picard et fils,Paris, 1911, X, 1,2, 3.

5Tertullien, Apologétique, L, 13.

2. خصائص الكتابات الجنائزية المسيحية

تُعتبر النقوش الجنائزية وشواهد القبور من بين آثار المسيحية في الجزائر في القديم، حيث تمّ الكشف عن العديد منها في مناطق مختلفة[1]، لكن الملاحظ من خلال دراسة هذه النقوش، استعمال صيَّغ وكتابات متشابه في الرموز والمناظر رغم اختلاف أنواعها[2].

كانت الصيَّغ المُستعملة في شواهد القبور الأولى بسيطة، يُذكر فيها اسم المتوفى، ويكون متبوعا بزخارف ورموز معينة، كرسم سمكة، أو حمامة، أو غصن زيتون وغيرها من الرموز التي تُعد بمثابة كلمات سرّ متداولة بين المسيحيين بصفة عامة، لا يعرفها ولا يفهمها إلا المنتمين إلى جماعتهم، تُستعمل لتفادي تخريبها[3]، ويعود استعمال هذا النوع من النقوش إلى فترات الاضطهاد المسيحي.

وتتميّز النقوش الجنائزية المسيحية بعدة خصائص منها:

أ- **الكتابة:** تختلف نوعية الكتابة المنقوشة على الشواهد الجنائزية من حيث تتابع الحروف وأحجامها.

ب- الرموز والصور: تُعتبر الرموز وسيلة للتعبير عن الإيمان عند المسيحيين،استعملت ككلمات سّر في القرون الأولى للمسيحية بسبب وطأة الاضطهاد، تُنقش عادة في الديناميس (قبور في جوف الأرض). كما استُخدمت زخارف، منها صور لبعض الأشجار: كغصن الزيتون، وثمرة الرمان، وورق النخيل وحفنة من العنب، وإمّا صور لبعض الحيوانات مثل: الحمام، والحمل، والحمار، والكلب، وأحيانا يُستعمل كلاهما، وتُرفق النصوص والرموز والصور بعلامة "الصليب" التي ترمز إلى المسيح[4].

ت- الصيغ المستعملة في شواهد القبور: تُستعمل عدة أنواع من الصيغ في كتابة نصوص النقوش الجنائزية نذكر منها على سبيل المثال:

- كتابة اسم المتوفى فقط، وهذا النوع قليل جدا[5].
- كتابة اسم المتوفى متبوعا بعبارة "في السلام" (In pace).
- كتابة اسم المتوفى متبوعا بعبارة "عاش في السلام" (in pace vixit)، وأحيانا تُذكر بعض صفاته ومناقبه وسنه[6].

---

1 Duval, N., " les recherches d'épigraphie chrétienne en Afrique du Nord (1962-1972)" dans M.E.F.R.A, T.85; 1973, pp.335-344.

2 أويحي سعيدة، المرجع السابق، ص 254.

3 بعد توقف الاضطهاد اختفت البعض منها، حيث منع رؤساء الكنيسة استعمالها، في حين بقي رمز الصليب مستعملا إلى يومنا في الكنائس والبيوت.للمزيد يُنظر: سامي حلاق اليسوعي، "رمز السمكة عند المسيحيين" عن موسوعة المعرفة المسيحية، قضايا 4، مطبوعات دار المشرق، ط.2، بيروت لبنان، 2002.

4 أويحي سعيدة، المرجع السابق، ص 255.

5Delattre, A. L., L'épigraphie funéraire chrétienne à Carthage, Tunis, 1926, p.21.

6 أويحي سعيدة، المرجع السابق، ص255-256.

كتابة اسم المتوفى مع ذكر سنه، وأحيانا تاريخ وفاته[1]، وفي بعض النقوش يكون الاسم مُرفقا برموز معينة، كصورة لحيوانات أ ونباتات.

3. نقوش الشهداء و شواهد القبور

لقد حظي شهداء المسيحية في إفريقيا بنوع من القداسة، حيث كانت تُقام مراسيم واحتفالات في ذكرى استشهادهم كل سنة، يتذكرون خلالها مناقبهم وآلامهم ومعاناتهم، وتُقدم خلالها الأطعمة. فلما كان القدِّيس كبريانوس[2] في المنفى أرسل رسالة إلى اكليروس كنيسته جاء فيها:"سجلوا يوم وفاة المعترفين بعقيدتهم (الذين ماتوا في السجون) حتى نتمكن من الاحتفال بهم مع الشهداء(...)أنتم لم تنسوا بأننا نقدم القرابين في كل مرة نحتفل فيها بذكرى وفاة الشهداء"[3]. وتخليدا لذكرى وفاة الشهداء والقديسين أُقيمت لهم أنصاب تذكارية في مختلف المناطق، وشّيدت بقربها إما كنائس، أو مصاطب، سُجلت فيها معلومات خاصة بأصحابها[4].

وتتميّز النقوش الإهدائية المرتبطة بالشهداء عن النقوش الجنائزية العادية، بإضافة صيغ أخرى منها:

– منح اسم للنصب ككتابة الصيَّغ التالية:"طاولة الشهيد" (مصطبة الشهيد) (Mensamarturum)، كالتي عُثر عليها في "مكثر" (Maktar) و"هنشير فلوس"(Henchir-Fellous) (وادي سليانة)[5].كما جاءت بصيغة "ذكرى القديسة"(memoria sancta)، مثل ما ورد في نقيشة بمنطقة "خربت أم الأهدام" (Kherbet-Oum-el-Ahdam)(جنوب غرب سطيف)[6] (شكل1)، أو"نصب تذكاري"أو"كنيسة"، وأحيانا

1Ennabli, L., lampes chrétiennes de Tunisie, (Musée de Bardo et de Carthage), édition du centre de la recherche scientifique. Paris, 1976, pp. 59-69.

2 كبريانوس (205–258م): كان أسقفا على كنيسة قرطاج في عام 248 أو 249م، بعدها بسنة بدأ اضطهاد ديسيوس، فاضطر إلى الهروب خارج المدينة، بينما كان يتابع رعايا الكنيسة عن طريق الرسائل. عندما انتهت الأزمة واجه مشاكل عديدة في الكنيسة بشأن المرتدين، لذلك ألف كتابا حول المرتدين بعنوان "في المرتدين"(De lapsi)، وفي وحدة الكنيسة" (De unitate ecclesiae). وفي حدود عام 255م ظهرت مشكلة شرعية معمودية الهراطقة، التي كان يعتبرها (بحسب الرأي السائد في إفريقيا آنذاك) باطلة.سقط خلال اضطهاد فاليريانوس، حيث تم إعدامه بقطع رأسه عام 258م. يُحتفل بذكرى استشهاده حسب التقويم الروماني يوم 16 أيلول(سبتمبر).

الموسوعة العربية المسيحية: نؤمن باله واحد/ كبريانوس أسقف قرطاج.

3Cyprien, Th., Epistulam 18/2 et34/3. D' après : Leclercq, Dom H., l'Afrique chrétienne, librairie Victor le coffre, T.1, Paris, 1904, p.71.

4 Berthier, A., les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Imprimerie PolyglotteAfricaine, Alger, 1942, pp.204-206.

5Monceaux, P., Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Extrait des mémoires présentés par divers savants à l'académie des inscriptions et belles-lettres, T.XII, Ière partie, imprimerie nationale, Paris,p.35 ; pp.40-41.

6 Ibid., p.138.

تُسمى "بيت الله"(Domus Dei)، ككنيسة "عين غراب"(Ain-Ghorab)(تبسة)المكرسة لـ"إيميريتوس"(Emeritus) الذي استشهد في 12 فيفري304م[1].

شكل1: يُمثل طاولة (mensa) نُقشت فيها علامة المسيح XوP وكلمات إهدائية من بينيناتوس وبيكواريا (Benenatus et Pequaria) إلى المسيح و الرسل والشهداء المدفونين في كنيسة خربت أم الاهدام (متحف لوفر) -(www.alamy.com CP667C)

– منح أسماء للنصب التذكارية، ككتابة اسم شهيد أو عدّة شهداء، مثل النصب التذكاري (Memoria) الذي عُثر عليه بمنطقة هنشير البيجيي(Hr. el-Beger)(تبسة) والمتمثل في طاولة المذبح، نُقشت عليها عبارة (Memoria Sancti Montani) ، أي "ذكرى القديس مونتاني"، ربما المقصود هو الشهيد "مونتانوس" الذي سقط في قرطاج عام 259م[2].

– الإشارة إلى موضع النصب التذكاري بكتابة صيغ خاصة مثل"هنا هي آثار"(Hic sunt reliquiae) كنقوش كلاما(Calama)(قالمة)[3].

– منح ألقاب وصفات للشهداء والقديسين: مثل لقب "الشهيد" (martur) الذي ذُكر في نقيشة بعين غراب، وصفة "السعيد" (Beatus)، كالتي وردت فينقيشة بـ "هنشير فلوس" (Henchir Fellous)، وأيضا صفة "صاحب القداسة" (Sanctissimus) التي جاءت ضمن نقيشة بمنطقة تبسة، وصفة

1Ibid., pp.69-70.
2Monceaux, P., Enquête …, pp.**66**-67.
3Ibid, pp.64-65.

"المثالي" (Perfectus) التي ذُكرت في نقيشة بهنشير الحماشة[1]، إلى جانب صفات أخرى لا يسعنا ذكرها كلّها.

– ذكر تاريخ ميلاد الشهداء (natalis): مثل ما جاء في مسلات بمنطقة بين قالمة وقسنطينة، أقيمت للشهداء نيفاليس(Nivalis)، وماترونا(Matrona)، وسالفوس (Salvus) يوم الاحتفال بهم، يوم 9 نوفمبر (9 des ides de novembrele)[2].

– تقديم النذر للشهداء، وفي حالة الاستجابة يُقام نصب تذكاري تعبيرا عن الرضا والقبول، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في النصب التذكاري المُكرسة للشهيدين:"ايتيان"(Etienne) و"لورانت" (Laurent) والقديس"جوليان"(Julien)[3].

– الابتهال إلى الله أو إلى الشهداء ومدحهم: من الأمثلة على ذلكما ورد في نقيشة كنيسة شهيد عُثر عليها بمنطقة "ستافيس"(Satafis)(عين كبيرة، شمال سطيف)، مُؤرخة للقرن الرابع الميلادي[4].

4. النقوش الجنائزية المسيحية القديمة في الجزائر

لقد حافظت النقوش المسيحية على ذاكرة شهداء المسيحية في شمال إفريقيا القديم بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، غير أن الكثير منها تعذر تفكيك رموزها، بسبب بعض الصيغ المعقدة، واستعمال كلمات مختصرة خاصة تلك التي ترجع إلى القرن الخامس الميلادي وبعده، في حين تبدو الصيغ المستعملة في أغلبية النقوش الجنائزية التي ترجع إلى القرون الأولى من انتشار المسيحية بسيطة.ونجد ضمن النقوش الجنائزية والآثار المادية والأدبية التي ورد فيها ذكر القديسين والشهداء المسيحيين في الجزائر (نوميديا قديما) ما يلي:

– ورد اسم الأسقف "اوبطاطوس الجيلدوني" في لوحة فسيفسائية عُثر عليها في كنيسة بتيمقاد(شكل2)، ذُكرت فيها سنة وفاته في السجن398م[5].

1Monceaux, P., Enquête …, pp.12..
2Leclercq, Dom H., op.cit, p.25**4**.
3Ibid,op.cit, pp.267.
4Ibid, pp.115- 116.
5Albertini, E., "un témoignage épigraphique sur l'évêque de Donat Optât de Thamugadi", C.R.A.I., 1939, pp.100- 103.

شكل2: فسيفساء هندسية تحمل نقيشة لـ"اوبطاتوس الجيلدوني بكنيسة تيمقاد

– بضواحي تبسة تمّ العثور على نقيشة مُكرسة للشهيد "نامفامو"(Namphamo)[1](شكل3)، وآثار لشهداء بمنطقة "هنشير الحماشة"(Hr. el Hamacha)[2]، و"هنشير البقور" (Hr. el Bagueur) بـ "عين غراب"(Ain Ghorab)، و"عين زوي" أو "فازايفي"(Vazaivi or Ain Zoui) (جنوب غرب خنشلة)[3]، إذ ورد اسم الأسقف الدوناتي ماركولوس(Marculus) الذي استشهد سنة 347م في نصب تذكاري (memoria) بكنيسة قصر الكلب (vegesala) (بعين تويلا حاليا) (شكل4)[4].

– كما وردت أسماء شهداء بمنطقة سيف الدلعة (Sef Edlaa) ، و"هنشير قساس" Hr. (Guesses)[5]، وفي"هنشير أغريب" (Hr. Akrib) ببسكرة، ومنطقة "الحاسي" (El Hassi)، "بير فراج" (Bir Fredj) و"مشيرا" (Mechira)، و"عين رقادة" (Ain Regada)[6](شكل5).

1عُثر في منطقة تبسة على طاولة حجرية مستطيلة قرب مذبح، موجودة حاليا في متحف لوفر، نُقش فيها اسم "ميجين"، ربما، يُقصد به الشهيد المادوري المشهور الذي سقط في اضطهادات عام 180م، حيث سُجل اسمه في عدة نقوش إفريقيا.-Monceaux, P.,Enquête …,pp. 47-48.

2 عُثر على نقيشة ترجع إلى بداية القرن الخامس الميلادي، سُجلت فيها أسماء لشهداء معروفين في نوميديا، ذُكر ضمنهم ميجين و دوناتوس و فليكس وآخرون. Ibid., p. 50

3 Monceaux, P., Enquête …, p.72.

4Isabelle Gui, révisé et complété par Noel Duval et Jean-Pierre Caillet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord (inventaire et typologie), I –inventaire des monuments d'Algérie, institut d'études augustiniennes, Paris, 1992, VII-VIII-IX, pp.291-294.

5Mesnage, J.P., op.cit, p. 125.

6Monceaux, P.,Enquête …, pp. 98-99.

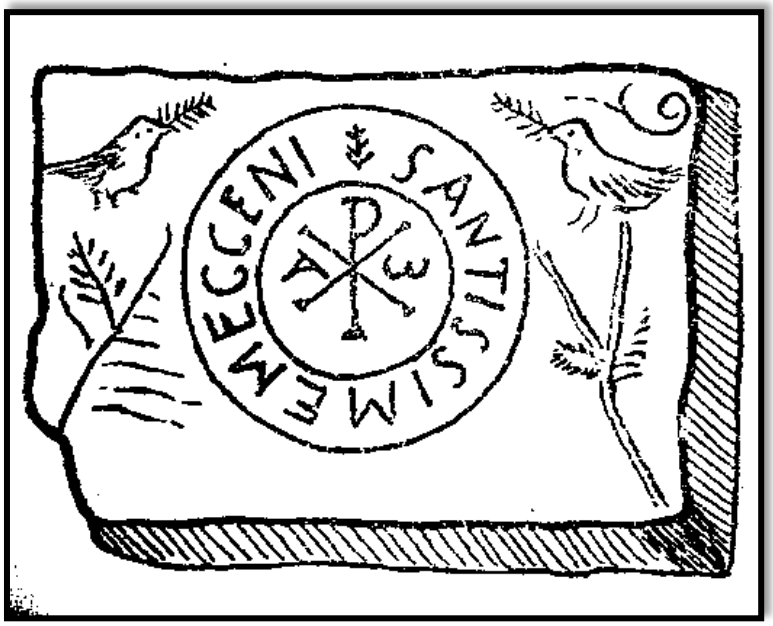

شكل3: نقيشة جنائزية سُجل فيها اسم الشهيد" ميجين" (Meggini) وصفة "معظم"(sanctissime) رسمت بينهما ورقة نخيل وصليب قسطنطيني مرفقا بالحرفين "ألفا"(α) وابسيلون(ω). يظهر في الجانبين، الأيمن والأيسر حمامتان على غصني زيتون في منقر كل منهما غصن (متحف اللوفر).

عن: Monceaux, P., Enquête …, p.48

شكل4: نصب تذكاري عُثر عليه بكنيسة قصر الكلب (شرق خنشلة)

ورد فيه اسم الأسقف الدوناتي ماركولوس "ذاكرة ماركولوس"MemoriadoMarculus

عن: Duval، N. et Caillet, J.-P., Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord…, 2. Illustrations, CXLI(141).

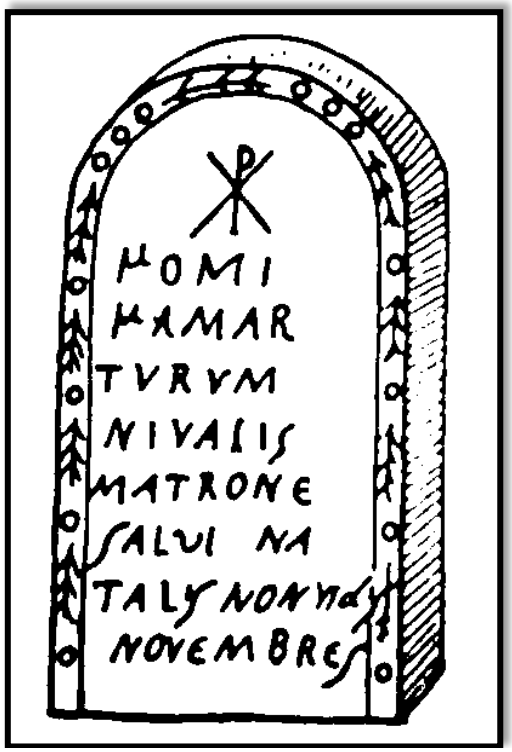

شكل5: نقيشة جنائزية عُثر عليها بمنطقة عين رقادة سُجلت فيها أسماء شهداء هم: نيفاليس (Nivalis) وماترون (Matrone) و سالفي (سالفيوس) (Salvi)

عن: Monceaux, P., Enquête …, p.99

– وفي مناطق مختلفة بمقاطعة موريطانيا السطيفية عُثر على نقوش تشير إلى سقوط شهداء خلال اضطهادات الإمبراطور دقلديانوس، منها منطقة "مسلوق"(Mesloug)، و"عين ملول"(Ain Melloul)، و"بير حدادة"(Bir Haddada)، و"عين القصر"(Ain el ksar)، و"خربت أم الأهدام" (Oum el Adham)[1](شكل6).وفي منطقة "قلال" بجنوب سطيف، تمّ الكشف عن نقيشة مهداة لذكرى الشهيد "دوناتولياس"(Donatulias)[2](شكل7).

1Mesnage, J.P., op.cit, p.126.

2Février Paul- Albert., "Aux origines du christianisme en Mauritanie césarienne", dans M.E.F.R.A., T.98, 1986, N°2, p. 770.

شكل6: الصورة المكبرة لعلامة المسيح المنقوشة على بلاطة شهداء بمنطقة خربت أم الاهدام يظهر فيها الحرفانX و P.(متحف لوفر)(www.alamy.com-CP9RFP)

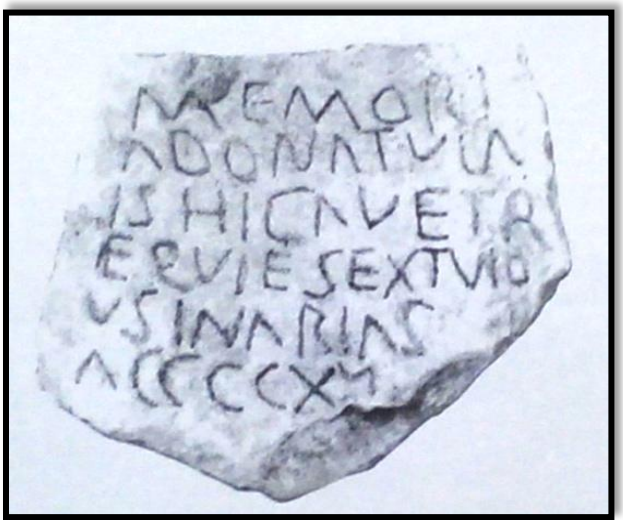

شكل7: نقيشة مهداة لذكرى دوناتولياس(Donatulias)(جنوب سطيف)

عن:Février, Paul- Albert, op.cit, p. 770

– وفي مقاطعة موريطانيا القيصرية عُثر على نقوش تحمل أسماء لشهداء، حيث ورد في نقيشة بتيبازة اسم شهيد يُدعى "فيكتورينوس" (Victiorinus)، مؤرخة ما بين سنتي 315م و320م، و أخرى بمنطقة "سوفاسار"(Sufasar) ، ذُكر فيها اسم طفل شهيد يُسمى "ماكسيموس"(Maximus) ترجع إلى سنة 322م، وشهيد آخر يُدعى "داتيفوس"(Dativus)[1](شكل8). وبمدينة كارتيناس (Cartennas)(تنس)

1Février, P.- A., Aux origines…, p. 787.

عُثر على نقيشة تحمل أسماء شهداء محليين[1]، وأخرى بوادي شلف تعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادي[2].

شكل8: نقيشة مهداة لذكرى الشهيدين ماكسيموسو داتيفوس(سافاسار)

عن:Février, Paul- Albert, op.cit, p. 790

خاتمة

لقد شَهِدت القرون الأولى من انتشار المسيحية في شمال إفريقيا حملات من الاضطهاد ضد المسيحيين، سقط على إثرها العديد من الضحايا، بل أصبحت تضحية هؤلاء الشهداء في سبيل عقيدتهم كنوع من المقاومة ضد الاحتلال الروماني.

وتشهد النقوش الجنائزية وشواهد القبور التي عُثر عليها في الجزائر على الاضطهاد الكبير الذي مارسته السلطة الرومانية ضد المسيحيين، ومدى مقاومة هؤلاء لسياستها الاستعمارية، لدرجة أصبح التضحية بأنفسهم في سبيل عقيدتهم كرفض لتواجدها في المنطقة، وتعبيرا عن ذلك جُعل من شهداء المسيحية أبطالا وقديسين يُقتدى بهم، بل تمّ تخليد ذكراهم بإقامة احتفالات سنوية، وتكريس أنصاب تذكارية تُنقش فيها أسماؤهم وتاريخ استشهادهم، يُحج إليها من كل مكان، وظهر ما يُسمى بـ "طقس الشهداء".

1Mesnage, J.P., op.cit, p.129.
2Février, P.- A., op.cit, p.772.

البيبليوغرافيا:

- باللّغة العربية:

1- أحمد شفيق، **الرق في الإسلام**، ترجمة احمد زكي، دار طيبة للطباعة-الجيزة، 2010، الطبعة الأولى.

2- أندري جوليان شارل، **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر،المغرب الأقصى) من البدء إلى الفتح الإسلامي تعريب محمد مزالي والبشير سلامة**، النشرة الخامسة، الدار التونسية للنشر 1985.

3- أويحي سعيدة، **الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الى بداية القرن الخامس الميلادي(180-411م) - قرطاج ونوميديا أنموذجا-**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله 2016/ 2017.

4- حلاق اليسوعي سامي، "**رمز السمكة عند المسيحيين**" عن موسوعة المعرفة المسيحية، قضايا 4، مطبوعات دار المشرق، ط.2، بيروت لبنان، 2002.

5- ورث تشارلز، أ. ب.، **الإمبراطورية الرومانية**، ترجمة رمزى عبده جرجس ومراجعة محمد صقر خفاجة، طبعة الهيئة المصرية للكتاب ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 2003.

- باللّغة الأحنبية:

- Albertini, E., "un témoignage épigraphique sur l'évêque de Donat Optât de Thamugadi", C.R.A.I., 1939.
- Ballu, A., Les ruines de Timgad (Antique Thamugadi), Paris,Ernest Leroux, Éditeurs, 1897.
- Bernet, A., Les chrétiens d'Afrique des origines à la conquête Arabe, Ed. De Paris, 2006.
- Berthier, A., les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Imprimerie PolyglotteAfricaine, Alger, 1942.
- Cyprien, Th., Epistulam 18/2 et34/3. D' après : Leclercq, Dom H., l'Afrique chrétienne, librairie Victor le coffre, T.1, Paris, 1904.
- Delattre, A. L., L'épigraphie funéraire chrétienne à Carthage, Tunis, 1926.
- Dominique, A., histoire du christianisme en Afrique, les sept premiers siècles, Karthala Édition, 2000.
- Duval, N., " les recherches d'épigraphie chrétienne en Afrique du Nord (1962-1972)" dans M.E.F.R.A, T.85, 1973.
- Ennabli, L., lampes chrétiennes de Tunisie, (Musée de Bardo et de Carthage), édition du centre de la recherche scientifique. Paris, 1976.
- Eusèbe de Césarée, Histoire ecclésiastique, textes grecs et traduction française par Emile Grapin, librairie Alphonse Picard et fils, Paris, 1911.
- Février Paul- Albert., "Aux origines du christianisme en Mauritanie césarienne", dans M.E.F.R.A., T.98, 1986, N°2.
- Jean, Dictionnaire de l'antiquité Le clant.
- Isabelle Gui, révisé et complété par Noel Duval et Jean-Pierre Caillet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord (inventaire et typologie), I, inventaire des monuments d'Algérie, institut d'études augustiniennes, Paris, 1992, VII-VIII-IX.
- Le Blohec, Y., histoire de l'Afrique romaine 146 Avant J.-C. 439- après J.-C., éditions, A. et J. Picard, Paris, 2005.
- Leclercq, Dom H.

- Lepelley, F., Aspect de l'Afrique romaine et le christianisme Les cités la vie rurale, le christianisme, Edipuglia, Bari 2001.
- Mattei, P., Mattei, P., le christianisme antique de Jésus à Constantin, Armand colin, Paris, 2008-2009.
- Mesnage, J.P., Evangélisation de l'Afrique, part que certaines familles Romano-africaines y ont prise, Adolphe Jourdan, Alger, 1914, Auguste Picard, Paris, 1914.
- Monceaux, P., Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Extrait des mémoires présentés par divers savants à l'académie des inscriptions et belles-lettres, T.XII, Ière partie, imprimerie nationale, Paris.
- Monceaux, P., H.L.A.C., T. 1, Paris, 1901.
- Monceaux, P., H.L.A.C., T. 2, Paris, 1901.
- Monceaux, P., Timgad chrétien.
- Tertullien, Apologétique, L, 13.
-Slah Selmi, "Actes des martyrs africains" dans culte impérial et persécution romaine : Le cas d'Afrique, Synergie Tunisie, n°1, 2009.